رسالة السيد روسو، قنصل فرنسا العام في حلب إلى السيد جوانان قنصل فرنسا العام في ميمِل عن الخيول العربية

ترجمها وقدَّم لها وعلَّق عليها: أ. د. محمد خير محمود البقاعي
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مقدمة المترجم:

نتابع في هذه الترجمة نشر تراث آل روسو، وعلى وجه الخصوص جان باتيست روسو (١١٩٤-١٢٤٧هـ/ ١٧٨٠-١٨٣١م) الذي يلقب بجوزيف، فننشر رسالته إلى قنصل فرنسا العام في ميمل(١) Memel السيد جوانان(٢) M. Jouannin عن

---

(١) ميمل: ميناء قديم على بحر البلطيق، أنشأه فرسان التيونيك الألمان عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. وأطلق عليه عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م اسم كاليبيدا Kalaipeda. وهو اليوم ضمن جمهورية ليتوانيا. انظر: معجم لاروس، مج١٢، ص٥١٩٢. Larousse, T.12, P.5192. [المترجم].

(٢) جوزيف - ماري جوانان Joseph-Marie Jouannin، ولد في منطقة سان-بريوك St-Brieuc عام١١٩٧هـ/١٧٨٣م وتوفي في باريس عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، مستشرق ودبلوماسي فرنسي، عمل سكرتيرًا أولاً ومترجمًا للملك في اللغات الشرقية، وكان من أفراد بعثة غاردان إلى بلاد فارس، ومارس العمل الدبلوماسي في فينَّا. من أعماله كتاب بعنوان: تركيا بالاشتراك مع جول فان غافر Jules Van Gaver نشر في باريس عام ١٨٤٠م. وترجم أشعارًا فارسية، وأسهم في إتمام معجم الأكاديمية الفرنسية (المجمع الفرنسي) الذي نشرته دار الإخوة =

الخيول العربية؛ وهي رسالة نشرت في مجلة "مناجم الشرق" Les mines de l'orient التي نشرها هامر M. Hammer في فينا منذ ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، مج٣، ١٨١٣م، ص ٦٥-٦٩.

ونشر روسو في المجلة نفسها البحوث الآتية:

١ - وصف ولاية حلب، أو تذكرة إحصائية تضم معلومات دقيقة عن الحالة القديمة والحديثة لهذه المدينة، حدودها، وملحقاتها الحالية، سكانها، حكومتها وتجارتها، مج ٤، ١٨١٤م (١٢٢٩هـ)، ص ١-٩٣.

٢ - نبذة عن الوهابيين[٣]، مج١، ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، ص١٩١-١٩٨.

٣ - قائمة بالبلاد التابعة للأمير سعود، الأمير الحالي للوهابيين، وبالقبائل الرئيسة الخاضعة لنفوذه، وبشيوخ تلك القبائل التابعين له في مختلف الأقاليم والمدن الخاضعة له. يتلوها نبذة قصيرة تخص الأمير سعودًا وعاصمته كتبناها في حلب نقلاً عن إمام مسجده الخاص. مج٢، ١٨١١م (١٢٢٦هـ) ص١٥٥-١٦٠.

= ديدو Didot في باريس بين ١٨٢٣-١٨٤٧م. أقام في إستانبول بين عامي ١٨٠٣-١٨١٠م، و ١٨١٧-١٨٢٦م. وكان عضوًا في الجمعية الجغرافية في باريس. انظر:

Nouvelle Biographie Générale, depuis les temps les plus reculés Jusqu'à nos jours, publiée par MM. Firmin Didot frères, Paris, 1852.

السيرة العامة الجديدة من أقدم العصور حتى عام ١٨٥٢م، باريس، ١٨٥٢م.[المترجم].

[٣] الوهابية ليست عقيدة أو مذهبًا كما قد يظن بعض الكُتَّاب، وإنما هي دعوة للعودة إلى الدين الصحيح كما ورد في الكتاب والسنة. [المترجم].

وقد استل روسو من مذكراته اليومية نبذته عن [الوهابيين] وأرسلها بصفة تقارير إلى وزارة الخارجية الفرنسية (مذكرات ووثائق: تركيا ١٢٢٣-١٢٣٤هـ/ ١٨٠٨-١٨١٩م). وظهرت هذه النبذة في عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ) في ذيل كتابه: وصف ولاية بغداد(٤) الذي نشره في باريس سلفيستر دو ساسي عام ١٨٠٩م.

عَدَّل روسو تلك النبذة تعديلاً جذريًا، ونشر تعديلاته في مجلة "مناجم الشرق" كما هو موضح أعلاه، ثم ضمنها في كتابه: التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيين والنصيريين والإسماعيليين(٥)، باريس - مرسيليا ١٨١٨م (١٢٣٣هـ).

وقد رأيت من تمام الأمر أن أنشر بين يدي رسالة روسو عن الخيول العربية سيرة آل روسو التي كتبها لويس

---

(٤) ترجمنا هذا الكتاب بتكليف من دارة الملك عبدالعزيز وتشجيع من معالي أمينها العام معالي الدكتور/ فهد بن عبدالله السماري، وهو قيد النشر.

(٥) العنوان الفرنسي:

Mémoire sur les trois plus fameuse sectes du Musulmanisme, les Wahabis, les Nosairis et les Ismaélis, par M. R***, Correspondant de l'Institut Royal et Associé de l' Académie des Science, Belles-Lettres et Arts de Marseille, A Paris chez A. Nepveu, Libraire, passage des Panoramas N.o 26. Et à Marseille Chez MASVERT, libraire, sur le Port,1818.

وانظر عن هذا الكتاب بحثنا: (من هو مؤلف كتاب "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب"؟)، مجلة الدارة، ع٣، السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ، ص١٢٣-١٥٣.

بوانسو Louis poinssot في مقدمة كتاب جان باتيست لويس جاك روسو "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م"(٦) لتكون مقدمة لهذه الرسالة القصيرة التي ورد ذكرها ضمن مؤلفات روسو، وظنها بعضهم كتابًا عن الخيل العربية فوصفوها وصفًا مبهمًا(٧).

---

(٦) العنوان الفرنسي:

J.-B. Louis Jacques Rousseau, Voyage de Bagdad a Alep 1808, publié d'après le manusecrit inédit de l'auteur, par Louis poinssot, J. André Éditeur, Paris, 1899.

وقد سبق للباحث أن نشر في مجلة "الدرعية" السنة التاسعة، العدد ٣٣، ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ إبريل ٢٠٠٦م، ص١٤٣-١٧٣ بحثًا بعنوان: آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية. قدم له بمقدمة عن آل روسو مقتبسة من مصادر عدة لم يكن بينها ما كتبه لويس بوانسو. ولما كان ما كتبه بوانسو يقدم معلومات لم ترد في المصادر التي نشرناها من قبل رأينا فائدة في نشرها مع هذه الرسالة.[المترجم].

(٧) من هؤلاء نجيب العقيقي في كتابه: "المستشرقون" الذي ترجم لروسو ترجمة مختصرة إذ قال في ج١، ص١٧٦: روسو (١٧٨٦-١٨٣١م/ ١٢٠٠-١٢٤٧هـ) من قناصل فرنسا في المشرق. آثاره: رحلة من بغداد إلى حلب (باريس ١٨٠٨م) وشؤون الوهابيين (١٨١٨م) والخيول العربية. وفي هذا تعميم مضلل واختصار مخل. إذ المقصود هنا روسو الابن، وهو جان باتيست-لويس-جاك روسو Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau الذي ولد في مدينة "أوكسير" في ١٠ ديسمبر ١٧٨٠م (١٤ ذي الحجة ١١٩٤هـ)، وتوفي في طرابلس الغرب ١٨٣١م (١٢٤٧هـ). أما والده جان فرانسوا كزافييه روسو Jean-François-Xavier Rousseau، دبلوماسي فرنسي، ولد في أصفهان في ١٦ أكتوبر ١٧٣٨م (٣ رجب ١١٥١هـ) وتوفي في بغداد في ١٢ مايو ١٨٠٨م (١٧ ربيع الأول ١٢٢٣هـ). وليس لروسو الابن كتاب عن شؤون الوهابيين، وإنما هي رسالة ملحقة بكتابه "وصف ولاية بغداد". أما عن الخيل فليس له كتاب، وإنما هي الرسالة الصغيرة التي ننشرها هنا ولا تتجاوز الصفحات الثلاث.

وتنبع أهمية الرسالة من أنها تكشف عن حركة الانتقال بين الجزيرة العربية والبادية الشامية التي كانت مجال تنقل قوافل العقيلات، وعرب قبيلة عنزة، كما تكشف عن جانب من جوانب النشاط العسكري للدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م) رحمهم الله أجمعين. والرسالة تكشف أيضًا عن وجه من وجوه اشتغال القناصل والمبعوثين الغربيين بتجارة الخيل العربية واهتمامهم بأنسابها وسلالاتها وأماكن وجودها وأسعارها، وحفظت لنا نسخة مما يسمى "حجة حصان" يُثْبَتُ فيها نسبه واسم أمه وأبيه، ويشهد على ذلك شهود شهدوا ولادته نجيبًا أصيلاً.

وكل ما أرجوه أن تكون هذه الرسالة إسهامًا في نشر تراث آل روسو، وخدمة لتاريخ الخيل العربية وأنسابها.

علقت في الترجمة على كل ما ظننت أن به خفاء على القارئ العربي، وميزت تعاليقي بكلمة المترجم بين معقوفتين [المترجم]، وحرصت على سهولة العبارة ووضوحها، ولعلي أفلحت في ذلك. والله من وراء القصد.

١ - ترجمة آل روسو كما وردت في مقدمة كتاب: جان باتيست لويس جاك روسو (١٧٨٠-١٨٣١م) "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م":

يقول لويس بوانسو Louis Poinssot عضو الجمعية الجغرافية في باريس في مقدمة رحلة جان باتيست لويس جاك روسو التي نشرها في باريس، ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)، بعنوان "رحلة من بغداد إلى حلب ١٨٠٨م" ص٧: "لنتحدث بإيجاز عن أصل أسرة روسو، التي أدت لفرنسا خدمات جليلة في الشرق، تلك الأسرة التي كانت بولائها لفرنسا، وبشجاعة أفرادها، وبمعارفهم فخرَ سلكنا الدبلوماسي.

تنحدر الأسرة من أنطوان روسو Antoine Rousseau الذي كان في بداية حياته صاحب مكتبة في باريس بداية القرن السادس عشر. ولما اعتنق ولده ديدييه Didier البروتستانتية اضطر إلى اللجوء إلى جنيف حيث عمل بائع كتب حتى موته نحو ١٥٧٠م (٩٧٧هـ). وكان حفيد ديدييه جاك روسو Jacques Rousseau جد مؤلفنا - وهو أيضًا عمُّ جان جاك روسو، فيلسوف جنيف(٨) - كان بائع مجوهرات، وعاد إلى فرنسا لممارسة مهنته. ولكن ولعه بالأسفار والمغامرات أغراه بتتبع السفارة التي أرسلها لويس الرابع عشر (١٠٥٢-١١٢٧هـ/ ١٦٤٣-١٧١٥م) إلى شاه بلاد فارس حسين(٩) عام ١٧٠٥م (١١١٦هـ).

---

(٨) الأديب والفيلسوف الفرنسي المعروف Jean-Jacques Rousseau (١١٢٤-١١٩٢هـ/ ١٧١٢-١٧٧٨م). وروسو، الأب والابن، تربطهما علاقة قربى بالفيلسوف المذكور.

(٩) الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان، أحد ملوك الصفويين حكم إيران بين عامي ١٦٩٣-١٧٢٢م (١١٠٥-١١٣٥هـ).

أسندت قيادة تلك المهمة إلى فابر[١٠] Fabre من مدينة مرسيليا، وأخذ معه مغامرِة اسمها ماري بُتي Marie Petit، وقد قام مؤخرًا السيد مولد دو لا كلافيير M. Maulde de la Clavière بسرد الرحلة المثيرة لتلك البعثة في كتاب طريف[١١].

ظل جاك روسو - بعد إخفاقه - في بلاد فارس فأصبح كبير جواهرجيي العرش؛ وتزوج عام ١٧٣٧م (١١٤٩هـ) رُنيه ليتوال Renée L'Estoile ابنة أحد تجار مدينة ليون المولودة في أصفهان. وتوفي روسو في عام ١٧٥٨م (١١٧١هـ) عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، وترك وراءه ولدًا وحيدًا هو: جان فرانسوا كزافييه روسو Jean-Francois-Xavier Rousseau الذي رباه تربية كاثوليكية على أنه كان هو نفسه بروتستانتيًا[١٢].

---

(١٠) جان باتيست فابر Jean Baptiste Fabre تاجر فرنسي من مرسيليا، أقام مدة طويلة في إستانبول، وفي عام ١٧٠٥م (١١١٧هـ) قرر لويس الرابع عشر إرساله في بعثة إلى بلاد فارس ومنحه لقب سفير فوق العادة. وعادت البعثة في عام ١٧١٤م. وانظر قصته مع ماري بُتي الوارد ذكرها بعد قليل في كتاب إيراج أميني Iraj Amini نابليون وبلاد فارس، العلاقات الفرنسية الفارسية إبان الإمبراطورية الأولى، ١٩٩٩م.

Napoleon and Persia, Franco-Persian Relations Under the First Empire,1999. [المترجم]

(١١) ر. دو مولد دولا كلافيير، ألف ليلة وليلة في سيرة سفيرة لويس الرابع عشر. هاشيت، ١٨٩٦م.

R. de Maulde de la Clavière, Les mille et une nuits d'une Ambassadrice de Louis XIV, Hachette, 1896.

(١٢) قال المؤرخ الفرنسي "جوزيف فرانسوا ميشو" في كتابه "التراجم الكونية" عن هذه الأسرة: "أما والده جاك روسو Jacques Rousseau، من أقرباء فيلسوف جنيف (يقصد جان جاك روسو)، فقد وُلد =

ولجأ كزافييه روسو بعد موت والده إلى مدينة بندر عباس(١٣) وأجرى صفقات تجارية رابحة عوضت عليه ثروته التي فقدها، ثم انتقل إلى البصرة ليكون في خدمة فرنسا، وأصبح هناك نائب رئيس مكتب شركة الهند(١٤)، ومن عام ١٧٦٢م (١١٧٥هـ) إلى عام ١٧٧٠م (١١٨٣هـ) كلفته الحكومة الفرنسية بعدد من المهمات التجارية والسياسية فأنجزها بنجاح. وفي عام ١٧٧٢م (١١٨٥هـ)، كُلف مؤقتًا بإدارة القنصلية في بغداد والبصرة، وتزوج هناك آن-ماري ساهيد Anne-Marie Sahid، ابنة أحد قدماء المترجمين الذين كانوا يعملون لدى الهولنديين، ولمَّا استولت القوات الفارسية

= في أصفهان، وانتقل إلى فرنسا في عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) ليعمل في بيع المجوهرات. وفي عام ١٧٠٥م (١١١٧هـ)، رافق السفير الذي أرسله "لويس الرابع عشر" إلى آسيا ليكون سفيرًا لدى الشاه "حسين"، ملك فارس، وعاش كل المضايقات والمغامرات التي عانت منها تلك البعثة الدبلوماسية. ولم يصل جاك روسو إلى أصفهان إلا في عام ١٧٠٨م (١١٢٠هـ). ولما عُيِّن أولاً جواهرجي ملك فارس، ثم أصبح كبير جواهرجيي العرش الفارسي، اكتسب حظوة كبيرة لدى العاهل الفارسي المذكور، وحافظ على مهنته في عهود كل الأمراء الذين تتابعوا في خضم الثورة التي شهدتها تلك البلاد قبل وبعد أن يغتصب الحكم "نادر شاه" المشهور. وقد كُلف بصفته كبير جواهرجيي العرش بتقييم الكنوز، وبصقل الجواهر التي غنمها "نادر شاه" من الهند وتنسيقها. وفي عام ١٧٣٧م (١٢٥٠هـ) تزوج "رُينه دو ليتوال" Reinée de l' Estoile، ابنة أحد التجار من أصل ليوني، ولدت في أصفهان. ولم يرزق منها إلا بولد واحد، هو الذي نترجم له هنا. وانظر بحثنا: آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية، "الدرعية"، م.س، ص١٤٣-١٧٣. [المترجم].

(١٣) مدينة فارسية على الخليج العربي. [المترجم].

(١٤) يقصد فرع شركة الهند الفرنسية في البصرة. [المترجم].

على البصرة في عام ١٧٧٦م (١١٨٩هـ) عاد إلى فرنسا ليطالب بمستحقاته، وبتعويض عن الخسائر التي حلت به.

كان هو وزوجته يرتديان خلال سفرهما الزي الشرقي، ووضعت زوجته في عام ١٧٨٠م (١١٩٤هـ) في مستشفى أوكسير(١٥) Auxerre غلامًا هو مؤلفنا الذي نتحدث عنه.

وقد حظي ظهوره في البلاط الملكي باهتمامٍ الفضوليين، وكان حدثًا مشهودًا. وتلقى مع أمر تعيينه قنصلاً لفرنسا في البصرة تكريمًا قدره (١٠٠) ألف فرنك، وعاد إلى بغداد فوصل إليها عام ١٧٨٢م (١١٩٦هـ)، ومنها إلى البصرة عام ١٧٨٤م (١١٩٨هـ)، وكان يقيم في بغداد تارة، وفي البصرة تارة أخرى. وفي عام ١٧٩٦م (١٢١٠هـ) عينه مجلس إدارة حكومة المديرين(١٦) قنصلاً عامًا في البصرة. وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٢هـ) عرَّضَته الحملة الفرنسية على مصر(١٧) لغضب الأتراك، فاعتقل، وقُيِّد بالسلاسل، وحمل إلى سجن ماردين(١٨). ورفض أن يشتري حريته بالتخلي عن جنسية

---

(١٥) مدينة تقع جنوب شرق باريس، تبعد عنها ١٧٠كم، معجم لا روس (بالفرنسية) ٢/ ٧٤٨ Larousse, T. 2, P.748.[المترجم].

(١٦) حكومة تشكلت في فرنسا بعد الثورة من خمسة أعضاء يختارهم مجلس الشيوخ المكون من ٥٢٠ عضوًا لمدة خمس سنوات.[المترجم].

(١٧) حملة نابليون بونابرت. وقد كتب هنري دوهيران في مجلة سورية ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ)، ص٣٣٨-٣٤٩ بحثًا بعنوان: "المآسي التي تعرض لها فرنسيو حلب في أثناء الحملة الفرنسية على مصر" فذكر أن كل الفرنسيين المقيمين في تركيا اعتقلوا في سبتمبر، وأكتوبر ١٧٩٨م (ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٢١٣هـ). وتعرض جان فرانسوا روسو لمصيرِ الآخرين نفسه، إذ اعتقل في بغداد، ونُقل إلى ماردين حيث ظل سجينًا أحد عشر شهرًا.[المترجم].

(١٨) مدينة تركية قرب الحدود السورية.[المترجم].

بلده الأصلي، ويعلن نفسه مواطنًا فارسيًا، ومكث في السجن هناك أحد عشر شهرًا حتى أفلح صديقه الباشا سليمان(١٩) في إطلاق سراحه.

وقد عينته حكومة القناصل(٢٠) في عام ١٨٠٣م (١٢١٧هـ) وكيلاً دبلوماسيًا وتجاريًا في بغداد، وكُلِّف في العام التالي ببدء الاتصالات مع حكومة فارس لتجديد التحالف القديم بينها وبين فرنسا، والتوطئة في البلاط الفارسي لبعثة م. جوبير(٢١) M. Jaubert والجنرال روميو(٢٢) Romieu. وعين

---

(١٩) يقصد سليمان آغا الذي كان متسلم البصرة وأسر عند احتلالها، ثم أُطلق سراحه وأصبح باشا بغداد. ولُقِّب بالكبير تمييزًا له من ابن أخت علي باشا الذي سمي بالصغير أو القتيل. انظر كتاب: وصف ولاية بغداد لروسو.[المترجم].

(٢٠) تلت حكومة المديرين، وتألفت من ثلاثة قناصل أحدهم نابليون، وقد انفردوا بكتابة الدستور وحكم فرنسا.[المترجم].

(٢١) جوبير، اسمه بيير أميدي إميليان بروب جوبير Pierre-Amédée-Emilien-Probe Jaubert، مستشرق فرنسي ولد عام ١٧٧٩م (١١٩٣هـ)، ومات عام ١٨٤٧م/١٢٦٣هـ، من تلامذة سلفستر دوساسي، اشترك في حملة نابليون على مصر، ثم أصبح أستاذًا للغة التركية، وأُرسل في عام ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) إلى بلاد فارس لمناقشة اتفاقية تحالف مع الشاه، ولكنه أوقف في الطريق وتعرض للسجن أربعة أشهر، له من الكتب رحلة إلى أمريكا وبلاد فارس بين ١٨٠٥-١٨٠٨م، مبادئ قواعد اللغة التركية، ١٨٢٨-١٨٣٤م، جغرافية الإدريسي، ترجمة من العربية إلى الفرنسية (١٨٣٦-١٨٤٠م). انظر معجم لاروس القرن العشرين، مج٤، ص١٦٠ (Larousse, T.,4 P.160). وانظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission على موقع Iranica.com.[المترجم].

(٢٢) روميو، ورد ذكره ضمن بعثة جوبير، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر. انظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission على موقع Iranica.com.[المترجم].

ولده قنصلاً في البصرة (في الثامن والعشرين من ذي القعدة ١٢١٩هـ، الموافق السابع والعشرين من فبراير ١٨٠٥م)، وألحق ببعثة جوبير ورميو. وفي هذه المدة كتب "رحلة من حلب إلى الموصل عبر الجزيرة"؛ وهي رحلة بدأت في ١٠ إبريل ١٨٠٧م (٢ صفر ١٢٢٢هـ)، وانتهت في مايو (ربيع الأول) من السنة نفسها. وأصبح في (٧ ربيع الأول ١٢٢٢هـ/ ١٤ مايو ١٨٠٧م) سكرتيرًا للملحقية الفرنسية في طهران، وكتب كعادته "رحلة إلى فارس عبّر بغداد"(٢٣). وفي سنة ١٨١٣م (١٢٢٨هـ) نشرت المجلة الموسوعية (مج٢) قطعة من وصف كرمنشاه(٢٤) وطاق بستان(٢٥) (من ٤-٦ شعبان ١٢٢٢هـ/ ٦-٨ أكتوبر ١٨٠٧م)(٢٦).

---

(٢٣) ظهرت قطعة من هذه الرحلة في مجلة الأسفار (مج١٤، ص٢٧٣؛ الإصدار الخمسون، ديسمبر ١٨٢٢م).

(٢٤) مدينة فارسية، عاصمة ومحافظة تحملان الاسم نفسه في شرق إيران وجنوب شرقها. تسكنها غالبية كردية مسلمة.[المترجم].

(٢٥) قرية في غرب إيران شمال مدينة كرمنشاه معروفة بتماثيل منحوتة في الصخر من عصر الساسانيين تعد من أجمل ما أنتجه الفن الفارسي.[المترجم].

(٢٦) بعنوان قطعة من رحلة إلى بلاد فارس عبر بغداد، مستلة من المجلة الموسوعية، عدد إبريل ١٨١٣م (ذي الحجة ١٢٢٨هـ). ٢٣ صفحة. ولدي صورة منها. بدأت في ٦ أكتوبر ١٨٠٧م (٤ رجب ١٢٢٢هـ) بالحديث عن كرمنشاه. وقال الناشر: إن القطعة التي ينشرونها أرسلها إليهم البارون سلفيستر دو ساسي. وكان يمكن أن تكون أكثر طولاً ولكننا رأينا الاقتصار على نشر ما يتعلق بأوابد كرمنشاه. وقد كانت تلك الأوابد موضوعًا لتذكرتين للسيد سلفستر دو ساسي. نجد الأولى في تذكرته عن أوابدٍ مختلفة في بلاد فارس المنشورة عام ١٧٩٣م (١٢٠٨هـ)، والثانية ألقيت في شعبة التاريخ والأدب القديم من المعهد، ونشرت في المجلد الثاني من تذكرة تلك الشعبة التي لن يتأخر صدورها.[المترجم]

وفي عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) أرسل مؤلفنا إلى الحكومة الفرنسية "مخططًا لعبور القوات الفرنسية عبر تركيا وبلاد فارس [لمهاجمة بريطانيا في الهند](٢٧) مع ملاحظات حول الأماكن والسكان؛ قُدِّم ذلك المخطط إلى الجنرال السفير غاردان(٢٨) Gardanne". وما زالت مخطوطته موجودة اليوم في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (وثائق بلاد فارس ١٨٠٦-١٨٢٩، رسالة مؤرخة في ١٨ يناير ١٨٠٨م (٢٠ ذي القعدة ١٢٢٢هـ)، ومكتوبة على ورق أزرق)(٢٩).

---

(٢٧) إضافة توضيحية من المترجم.

(٢٨) قاد البعثة التي أرسلها نابليون إلى بلاد فارس لمساعدة فتح علي شاه في حربه مع روسيا، ولتمهيد الطريق لهجوم محتمل على الهند البريطانية عبّر فارس، ووصلت البعثة إلى طهران في ٤ ديسمبر ١٨٠٧م (٤ شوال ١٢٢٢هـ)، وكان من أعضائها القنصل جوزيف روسو، وضابط المدفعية جان ريمون. وقد كتب روسو قصة رحلته هذه وطبعت في باريس عام ١٨٩٩م. [وغاردان هو كلود ماتيو دو غاردان Claude-Mathieu-De Gardane، ضابط ودبلوماسي فرنسي ولد في مرسيليا عام ١٧٦٦م (١١٨٠هـ) ومات عام ١٨١٨م (١٢٣٤هـ)، وكانت بعثته إلى فارس عام ١٨٠٧م (١٢٢٢هـ) للحصول على تحالف الشاه ضد البريطانيين. لاروس القرن العشرين، ٣/ ٧١٠ Larousse, T. 3, P.710. انظر بحثًا بعنوان: Gardane Mission (بعثة غاردان)، منشورًا على موقع http://www.iranica.com.المترجم].

(٢٩) انظر كتاب: نجديون وراء الحدود، "العقيلات" ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م) لعبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، دار الساقي ١٩٩١م، ص١٥. وقد أخطأ في كتابة اسم روسو فكتبه: تارنس بارون روسو المولود في عام ١٧٧٣م (١١٩٧هـ) (الصواب ١٧٨٠م/ ١١٩٤هـ) ابن جاك روسو الذي عمل في مناطق الشرق المختلفة بالسياسة والتجارة حتى تعين في عام ١٨٠٣م (١٢١٨هـ) وكيلاً لفرنسا في بغداد، وفي الوقت نفسه (الصواب ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ) تعين ابنه الذي استعنا بتقريره قنصلاً لفرنسا في البصرة. كتب روسو تقريره استجابة لطلب بونابرت وقدم =

يثبت هذا المخطط أن نابليون فكر في "مهاجمة بريطانيا في إمبراطوريتها الآسيوية" في وقت يسبق بزمن طويل الرسالة الشهيرة المؤرخة في ٢ فبراير ١٨٠٨م (٥ ذي الحجة ١٢٢٢هـ)، التي يعرض فيها على القيصر الروسي ألكسندر غزو الهند "بجيش مكون من خمسين ألف جندي، روس وفرنسيين، وربما بعض النمساويين". وقد عطلت حروب البرتغال وإسبانيا تنفيذ هذا المخطط الضخم الذي ينبغي الاعتراف بأنه لم يلق الحماسة اللازمة في سان بطرسبورغ.

لقد رأى القيصر، ولم يكن مخطئًا، في ذلك المخطط وسيلة مخترعة لتأخير اقتسام الإمبراطورية العثمانية، واستيلاء الجيش الروسي على المناطق الدانوبية(٣٠).

فجأة أنهى الجنرال غاردان مهمته، وقد أحبطته مرارة الخيبة بسبب التغيير في سياسة نابليون. وغادر طهران وعاد إلى فرنسا دون أن يتلقى الأمر بذلك. ولم يبق جان باتيست

= في عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) إلى الجنرال غاردان موضحًا به دروب المنطقة ومساراتها لتتمكن الجيوش الفرنسية من الاستعانة بها في زحفها المخطط له عبر الأراضي العثمانية. وقد رأينا مؤلف الكتاب يقتبس في عدد من المواضع (انظر على سبيل المثال الفصل الرابع، ص١٤٤) ينقل عما يسميه روسو، عربستان - سياحتي (انظر ص١٥٢). ولعل هذا عنوان التقرير.[المترجم].

(٣٠) بخصوص مخططات نابليون في آسيا نتذكر البعثة التي أُسندت بعد ذلك إلى السيد لاسكاريس، وهي البعثة التي سرد حكايتها لا مارتين سردًا مأساويًا في رحلته إلى الشرق بعنوان "حكاية فتح الصايغ". ونستطيع الاستنتاج من ذلك أن هذه المخططات شغلت باله زمنًا طويلًا أيضًا. [وكلفت دارة الملك عبدالعزيز الدكتور عبدالله العسكر وكاتب هذه السطور بإعداد طبعة جديدة من حكاية فتح الله الصايغ الحلبي وإعداد دراسة عن لاسكاريس هي قيد الإنجاز.المترجم].

روسو في فارس بعد مغادرة السفير إلا زمنًا قصيرًا. وفي ١٢ مايو ١٨٠٨م (١٧ ربيع الأول ١٢٢٣هـ) توفي والده اكزافييه روسو في حلب، ولكي يلتحق بأمه بدأ الرحلة التي ننشر قسمًا منها وهو مذكراته اليومية (من ٣ رمضان - ٦ ذي القعدة ١٢٢٣هـ/ ٢٢ أكتوبر - ٢٣ ديسمبر ١٨٠٨م)(٣١).

عُيِّن جان باتيست روسو في التاسع والعشرين من أكتوبر (العاشر من رمضان) من السنة نفسها قنصلاً عامًا مكان والده، وقد ظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) عندما استُدعي بالوظيفة نفسها إلى قنصلية بغداد.

وفي هذه المدة أظهر كتابه "نبذة عن فارس القديمة والحديثة، يتلوها عدد من القوائم المتعلقة بجغرافية تلك الإمبراطورية وأحداثها التاريخية" (مارسيليا، ١٨١٨م)، كما أصدر كتابه "أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي" (باريس ١٨١٧م)(٣٢)،

---

(٣١) واستل روسو من مذكراته اليومية هذه "نبذته عن الوهابيين" التي ما زالت مخطوطتها محفوظة في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (مذكرات ووثائق. تركيا ١٨٠٨-١٨١٩م). وظهرت في عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ) في ذيل كتابه "وصف ولاية بغداد" كما أدرجها من جديد بعد أن عدلها تعديلاً جذرياً في كتابه "التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون والإسماعيليون، باريس-مرسيليا، ١٨١٨م.

(٣٢) ذكره جوزيف - ماري كيرار Joseph-Marie Quérard في كتابه "فرنسا الأدبية أو معجم العلماء والمؤرخين والأدباء في فرنسا"، المجلد ٨.[المترجم].

La France littré ou dictionnaire bibliographique des savants, historiens et gen de littres de la France.

ولم نجد أثرًا لهذا الكتاب في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس ولا في غيرها من المكتبات الفرنسية وغيرها.[المترجم].

والقسم الأساسي(٣٣) في هذا الكتاب الأخير هو القسم المعنون: وصف ولاية حلب، وهو قسم يعد على وجه من الوجوه تتمة للرحلة التي ننشرها، وقد سبق لهذا القسم أنْ نُشِر في مجلة "مناجم الشرق" (التي نشرها هامر M. Hammer في فينا)(٣٤). ثم أصدر بعد ذلك خريطة بلاد آسيا الصغرى التي سبق له وصفها(٣٥).

في الخامس عشر من ديسمبر ١٨٢٤م (٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٠هـ) عُيِّن جان-باتيست-لويس-جاك روسو قنصلاً عامًا وقائمًا بالأعمال لدى حكومة الحماية في طرابلس الغرب. وفي عام ١٨٢٦م (١٢٤٢هـ)، وبعد نقاش حاد مع الباي غادر

---

(٣٣) كما يذكر ذلك جوزيف - ماري كيرار في كتابه المذكور أعلاه، وتقع القطعة المشار إليها في العدد الثالث من مجلة "مناجم الشرق"، ١٨١٣م (١٢٢٨هـ) التي أصدرها هامر في فيينا ص٦٥-٦٩. [المترجم].

(٣٤) وقد أشار بوركهارت في كتابه: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة غاندي المهتار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٦١ إلى رسالتين لروسو عن الوهابيين، وجاء في حاشية الصفحة أن الرسالة الأولى "وصف ولاية بغداد" والأخرى "مناجم الشرق؟". قلت: وفي الكلام تعميم كبير وخطأ في الترجمة: فوصف ولاية بغداد مذيل بنبذة عن الوهابيين، و"مناجم الشرق" مجلة نشرها هامر M. Hammer في فينا، اسمها: Les mines de l 'orient، نشر روسو فيها بحثين عن الوهابيين عدل فيهما ما كان نشره من قبل سلفيستر دو ساسي في ذيل كتاب روسو وصف ولاية بغداد، ١٨٠٩م؛ كما نشر فيها بحثه وصف ولاية حلب، وقد ظهر وصف ولاية حلب بعد ذلك في كتاب روسو، أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي، باريس، ١٨١٧م.
Mélanges d'histoire et de littérature orientale, Paris, 1817. [المترجم].

(٣٥) "خريطة الشام (سورية) أو الجزيرة (بلاد الرافدين) والعراق العربي (بابل). تحتوي على الولايات الثلاث: حلب، والرها أو أورفا، وبغداد" نشرتها الجمعية الجغرافية في عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ).

العاصمة واعتكف على ظهر بارجة فرنسية كانت ترسو في ميناء المدينة فخاف الباي واستجاب لإرادته(٣٦).

وفي نهاية عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ) انتشرت شائعة موته في فرنسا، بل قرئت ترجمته في الجمعية الجغرافية، وعين الملك خليفة له هو السيد ميشان Méchain قنصل فرنسا في قبرص. وقد حدثت هنا حادثة كانت في واقع الأمر غريبة كل الغرابة؛ إذ توجه السيد فاتييه دو بوفيل Vattier de Bouville المكلف بإدارة القنصلية مؤقتًا إلى طرابلس الغرب، بيد أنه لما وجد روسو حيًا يرزق رأى أن من واجبه أن ينفذ الأوامر التي تلقاها تنفيذًا حرفيًا، فاستقر في القنصلية بالقوة، ولم يخرج منها إلا بأمر صريح من الوزير الذي أزالت شكوكه رسائل روسو وتأكيدات الباي.

---

(٣٦) جاء في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي تأليف د. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، ٦/٤٩٣: وتذكر المصادر الفرنسية أن خلافًا حدث بين طرابلس وفرنسا بمناسبة حفل عيد شارل العاشر ملك فرنسا. فاشترط القنصل - واسمه روسو - عزل وزير الخارجية حسونة دغيز باعتباره المتسبب الرئيسي في الإهانة التي لحقت بفرنسا، كما اشترط على الباي نفيه (أي دغيز) من طرابلس. تجنبًا للإهانة الشخصية قدم دغيز استقالته من الخارجية بنفسه. وتراجع القنصل روسو عن اشتراط النفي لعدة اعتبارات، منها تدخل عثمان ابن باشا طرابلس، وتدخل قنصل إسبانيا (هيرادور). لقد كان ابنا باشا طرابلس متزوجين من أختي دغيز. وكان والد دغيز ذا حظوة كبيرة باعتباره من الأعيان والأشراف. وذلك ما دفع بقنصل إسبانيا إلى إقناع زميله الفرنسي أن يتنازل عن شرط النفي، رغم أن روسو كان يعرف أن حسونة دغيز كان يكره الفرنسيين كرهًا شديدًا. ونجد تفاصيل هذا الخلاف في بحث هنري دوهيران المعنون: القنصل المستشرق جوزيف روسو (١٧٨٠-١٨٣١م)، المنشور في جورنال دي سافان "مجلة العلماء" Journal des savents ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ)، ص٢٦٨-٢٧٤، و ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، ص٢٦-٣٥، ٧٢-٨٢.[المترجم].

أسس روسو في يوليو ١٨٢٧م (ذي الحجة ١٢٤٢هـ) في طرابلس الغرب صحيفة "المحقق الإفريقي L'Investigateur Africain"، وكتب فيها عددًا من المقالات، أعيد نشر بعضها مثل: "حملة متوقعة من باشا طرابلس ضد عرب الجبل(٣٧). معلومات عن هؤلاء العرب"، ومثل: "أصل تمبكتو حسب المؤلفين العرب. تفاصيل عن القبائل التي تسكن هذه المدينة" في نشرة الجمعية الجغرافية (قياس ٨، رقم ٥٤، أكتوبر ١٨٢٧م).

ونشرت له الجمعية نفسها التي كان روسو عضوًا مراسلاً مشاركًا فيها رسائل غريبة كتبها في طرابلس الغرب عن إفريقيا الوسطى، وعن موت لينج Laing وكلابرتون(٣٨) Clapperton (نشرة الجمعية الجغرافية عام ١٨٢٨م).

ومن الجدير بالذكر أن روسو كان في هذه المدة لا يزال يسعى وراء المخطوطات العربية القديمة، شأنه عندما قام برحلته من بغداد إلى حلب. مع أنه كان قد مر زمن طويل على قيام أوفاروف Ouvaroff بشراء (٥٠٠) مخطوطة من

---

(٣٧) في الأصل: (جبل Ilssatou): لعله الجبل الأخضر في ليبيا، ولعله سمي كذلك: "جبل السطو"؛ لأن العرب الذين يسكنونه يسطون على فيالق الباشا.[المترجم].

(٣٨) الماجور ألكسندر غوردون لينغ Alexander Gordon Laing: مستكشف اسكوتلندي ولد عام ١٧٩٣م (١٢٠٨هـ) ومات عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ). وكان من أوائل المستكشفين الغربيين الذين وصلوا إلى مدينة تمبكتو في مالي الحالية. أما هوغ كلابرتون Hugh Clapperton: فهو مستكشف من بلد السابق نفسها ولد عام ١٧٨٨م (١٢٠٣هـ) ومات عام ١٨٢٧م (١٢٤٣هـ) بالحمى الزنطارية بعد رحلة قام بها في داخل إفريقيا عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) عاد منها عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ).[المترجم].

روسو باسم قيصر روسيا. وهي مخطوطات كان قد جمعها في آسيا الصغرى، وتمتلكها الأكاديمية القيصرية في سان بطرسبورغ(٣٩).

مات روسو في عام ١٨٣١م (١٢٤٧هـ) بارونًا، وعضوًا في أكاديمية النقوش والفنون الجميلة. وخلف عددًا من الأبناء، أحدهم: أنطوان فرانسوا نابليون Antoine-Francois Napoléon ولد في حلب، في الخامس من إبريل ١٨١١م (١٢ ربيع الأول ١٢٢٦هـ)، وعمل مترجمًا رئيسًا للجيش التابع لمكتب المارشال بوجو(٤٠) Bugeaud، وبعده الدوق

---

(٣٩) الفهرس المرتب لهذه الـ ٥٠٠ مخطوطة نشره روسو في عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ). قلت: ولدي صورة من هذا الفهرس الذي نشر كما على غلافه عام ١٨١٧م (١٢٣٢هـ)، وأنا بصدد ترجمته. وانظر بحثنا المنشور في مجلة الدرعية، "آل روسو وصفحات مطوية من تاريخ المخطوطات العربية"، م.س، ص١٤٣-١٧٣. [المترجم].

(٤٠) توماس روبير بوجو دو لا بيكونري Thomas R. Bugeaud de la Piconnerie، جنرال ثم مارشال فرنسي. ولد في ليموج عام ١٧٤٨م (١١٦١هـ)، ومات في باريس عام ١٨٤٩م (١٢٦٥هـ). وطد للاستعمار الفرنسي في الجزائر عندما أرسل إليها في عام ١٨٣٦م (١٢٥٢هـ)، وحارب الأمير عبدالقادر بلا هوادة في الثلاثينيات الميلادية في إقليم وهران، ووقع معه معاهدة التافنة في ٣٠ مايو عام ١٨٣٧م (٢٥ صفر ١٢٥٣هـ)، ثم أصبح من دعاة القضاء عليه واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر. عين في عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) حاكمًا عامًا للجزائر. وله كتابان: حرب إفريقيا ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ)؛ تأملات وذكريات عسكرية ١٨٤٥م (١٢٦١هـ). استقال وعاد في عام ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ). أي قبل نهاية مقاومة الأمير بنصف سنة تقريبًا. ودارت بينه وبين الأمير عبدالقادر مراسلات عندما كان هذا الأخير أسيرًا في فرنسا. انظر كتاب: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، للدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٢٣-٣٢٤. [المترجم].

دومال(٤١) duc d'Aumale. وكان عضوًا في بعثة المغرب التي قادها السيد جاجير سميث Jagersmidt، وأصبح قنصلاً فخريًا في بورصة(٤٢)، ثم عين قنصلاً من الدرجة الثانية في جدة، مع مهمة تقضي بأن يبقى في دمشق بجوار الأمير عبدالقادر".

٢ - رسالة السيد روسو عن الخيول العربية:

من وادي الجباب، الإثنين ٥ ديسمبر "كانون الأول" ١٨٠٨م

تكثر الأرانب في الصحراء، وهي طيبة المذاق في الأكل؛ وقد خرج اليوم من مخابئه أكثر من عشرين منها، أطلقنا عليها صقرًا وكلب صيد اشتريتهما لأيام خلت من رجل من عنزة(٤٣). ولكنهما لم يستطيعا اللحاق بالأرانب على الرغم من الجهد والحماسة اللذين بديا عليهما. ولكن العقيلات(٤٤)

---

(٤١) عسكري وسياسي فرنسي ولد في باريس عام ١٨٢٢م (١٢٣٧هـ) وتوفي في صقلية ١٨٩٧م (١٣١٤هـ). ذهب إلى الجزائر في عام ١٨٤٠م (١٢٥٦هـ) وغادرها لأسباب صحية في عام ١٨٤١م (١٢٥٧هـ)، ثم عاد إليها في عام ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ) وشارك في عدد من المعارك ضد الأمير عبدالقادر الجزائري. اهتم بالتاريخ وله فيه عدة مؤلفات، وكان عضوًا في الأكاديمية الفرنسية.[المترجم].

(٤٢) مدينة تركية تكتب بالتركية Bursa وبالفرنسية Brousse.[المترجم].

(٤٣) في الأصل: عنزي، نسبة إلى عنزة، وهي قبيلة عربية معروفة.

(٤٤) يشكلون قبيلة حضرية تعمل بالتجارة. [قلت: والعقيلات ليسوا قبيلة وإنما هم تجمع أسر تعمل في التجارة، شكلوا وحدة متجانسة سميت العقيلات. انظر حولهم كتاب عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، نجديون وراء الحدود، العقيلات ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م)، دار الساقي، ١٩٩١م.المترجم].

كانوا أكثر مهارة فقتلوا بعضها بعصيِّهم كما حدث في الأمس(٤٥).

ولما اقتربت الظهيرة رأينا رجال طلائع قافلتنا يتراجعون فجأة، وأخبرونا بظهور جماعة غزو، وأعربوا عن ظنهم بأنهم لمحوا على رأس تلك الجماعة البرج(٤٦) El-berdje، وهو عبد ضخم الجثة، يقود حرس زعيم الوهابيين(٤٧). وقد أشاع هذا الخبر حالة من الاستنفار بين أفراد القافلة، فما لبث كل واحد أن استعد للمعركة، ورفعت الأعلام، وأُشعلت فتائل البنادق، واصطف الخيالة المسلحون بالرماح واتخذوا هيئة الحرب، وضجت الصحراء بأغاني الحرب المسماة حروبي. ولكن عدد الغزو كان قليلاً فلم يتجرؤوا على شن الهجوم، فرأيناهم يهربون مسرعين من المكان، وما لبث أن عاد كل شيء إلى الهدوء الذي كان سائدًا قبل الحدث.

لقد حدثتك عن الطلائع، وينبغي أن أخبرك بخبرهم، وأي ضرب من الناس هم. يقال إن أصلهم من الشامية (بادية

---

(٤٥) تحدثت آن بلنت في رحلتها غير مرة عن الأرانب وكثرتها وطريقة صيدها في رحلتها التي ترجمها محمد أنعم غالب، نشر دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م، انظر: ص١٢٧ وفهرس المحتويات.

(٤٦) لم نجد اسم هذه الشخصية في الكتب التي أرخت للدولة السعودية الأولى. ولا في النبذة التي كتبها روسو، ولا في كتابه عن الطوائف الإسلامية الثلاث. ولعلها (فرج).

(٤٧) هذا في أيام الدولة السعودية الأولى. وكان رأس الدولة السعودية الأولى – زمن الرسالة ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) – الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد رحمهم الله أجمعين.[المترجم].

الشام) نفسها. يعرفون جوانب الصحراء معرفة تامة، ويمكننا اعتمادًا على ذلك تسميتهم: قادة الأرض الصلبة. لذلك لا يستطيع العقيلات التخلي عنهم، يستأجرونهم ليمشوا أمام القوافل، وليقودوها عبْر طرق آمنة، فيها موارد ماء كافية. هؤلاء العرب الذين يسمون الأدلاء إذ يتمتعون بنظر حاد، ويمتطون مطايا سريعة، تسمى: العماني أو الذلول، وهي كما أعتقد الهجن. وهذه الإبل هي مخلصة لمن يهتمون بها، يتفادون على ظهورها اللقاء بجامعي رسوم المرور الباهظة عبر الإشارات المضللة التي يعطونها لهؤلاء، أو عبر منعرجات خفية يأخذون المسافرين عبرها.

ولما التحق بالقافلة نفر من قبيلة عنزة، كانوا أصدقاء العقيلات الذين نسافر معهم استعرضوا الخيل التي أملكها. ولم يعجبهم إلا حصان واحد منها، إنه الأشهب الذي رأيته في بلاد فارس، وهو حصان ذو نسب أصيل. ثم أرادوا بعد ذلك امتطاءه لتجربته، واستجبت لرغبتهم. وقد نجحت سرعته وانقياده وخفة حركاته، ناهيك عن جمال مظهره في خطف إعجابهم به. وعرضوا عليَّ شراءه، ولكنك تعلم حق العلم أن ليس لي رغبة في التخلي عنه. وقد طلبت منهم بدوري إذا كان لديهم أفراس جميلة للبيع؟ "فسألوني عن المبلغ الذي يمكن أن أدفعه؟ فأجبت: ألف قرش. فانفجروا ضاحكين، وأكدوا لي أنني لن أجد الفرس الذي أرغب فيه بأقل من ثلاثة آلاف قرش.

ولست تجهل على أي حال يا صديقي مدى تعلق العرب بأفراسهم؛ فنحن نستطيع القول: إنهم يحبونها حبهم زوجاتهم، وليس هناك بينهم من لا تنام فرسه في خيمته، في وسط أسرته، وليس هناك بينهم من لا يهتم بها اهتمامه بولده المدلل.

يقول بوفون Bufon: "إن أنبل فتح حققه الإنسان هو ترويض ذلك الحيوان الأنوف، الجامح (الحصان) الذي يتقاسم معه التعب والحروب والانتصار في المعارك".

ولكن العرب يتميزون عن كل شعوب الأرض بأنهم يمتلكون كثيرًا من الخيول الجميلة، ويقدرونها حق قدرها، وهم يعرفون أكثر من غيرهم ترويضها على خوض السباقات. ولكي يكون الحكم على أصالة أنساب خيولهم منصفًا ينبغي التنقل في قلب صحرائهم، واكتساب خبرات التعرف عليها وتقديرها حق قدرها. لذلك كان أمراء فارس والهند على مر العصور يحرصون على تناسل الخيل الأصيلة في مناطق نفوذهم، ومنذ بضع سنوات تولد لدى الأوروبيين ميل إلى اقتناء الخيول العربية الأصيلة وصاروا يرسلون المندوبين إلى كل مكان للحصول على أكثر السلالات شهرة.

إن الخيول العربية هي على وجه العموم رشيقة، ولكنها قادرة على تحمل تعب سير المسافات الطويلة، وهي متناسقة الأعضاء، ممشوقة، خفيفة الحركة سريعة العدو في السباق. ويُحمد في الخيل أن تكون ضامرة البطون، صغيرة الآذان، قصيرة الهوادي؛ وهي صفات تُعرف بها الخيل الأصيلة.

ونكاد على الدوام نجدها خالية من العيوب، منقادة حتى إن المرأة والطفل يستطيعان التعامل معها، وترعى بهدوء في المراعى مختلطة مع بقية المواشي. ويمتطيها فرسانها بلا سروج، ويقودونها بمجرد لجام بسيط. ناهيك عن أنها تصبر على العطش، وتشرب على وجه العموم حليب الخلفات. وآخراً ما تجدر ملاحظته أن أصحابها لا يعطونها إلا قليلاً من العلف، وليست بحاجة إلى الحدوة؛ لأن مجال ركضها، الصحراء، وهي على العموم أرض سهلية وخالية من الحجارة.

وأورد فيما يلي الشروط المتعارف عليها بين العرب لكي يقولوا عن حصان ما إنه جواد: أن يكون مقوس العنق، ذا أذنين مستقيمتين طويلتين حتى تكاد أطرافهما تتلامسان، ورأس صغير ولكنه متطاول، وعينين واسعتين مستديرتين، ولحيين عريضين، وخطم مستقيم، ومنخرين كبيرين، وبطن صغير، وقوائم رفيعة، ورسوغ قصيرة، وحوافر كبيرة وصلبة، وصدر عريض، وكفل ضيق. ويعبر عرب عنزة عن هاتين الميزتين الأخيرتين بقولهم: (أحبوا واحرصوا على الجواد الذي له صدر الأسد وأرداف الذئب). وهم مع ذلك يحبون في الفرس أن تكون أردافها عريضة فيها بعض الطول. زبدة الكلام أن العرب يعدون الحصان كامل الصفات إذا كان يجمع المحاسن الثلاثة في الرأس والعنق والردف. وهذا ما عبر عنه هوراس(٤٨) Horace باقتضاب في هذا البيت:

---

(٤٨) هوراس شاعر لاتيني (٦٥-٨ ق.م)، انظر المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٩٨-١٩٩.

أما الأرداف فجميلة، وأما الرأس فصغير،
وأما العنق فطويل منتصب(٤٩)

ولكنه ينبغي في الوقت نفسه أن يكون الحيوان فتيًا ليحوز على إعجابهم، وليولوه اهتمامًا مميزًا. ونجد هذا الشعور عند فيرجيل(٥٠) Virgile عندما يتحدث عن هذا الموضوع في قصائده المسماة جيورجيك Géorgiques قائلاً:

ولكنْ، سواء كان الحصان يجر عربة، أو يُقاد بلجام
أحب أن يكون حصان السباق فتيًا، نشيطًا، سريعًا
لأن الحصان يقصر إذا وهن وشاخ حتى لو أن أصله
من إيبير(٥١)

ونجد في الجواد سمات يرى العرب أنها من العيوب التي تؤثر في سعره تأثيرًا ملموسًا مثل: النجمة المزدوجة في الجبهة، والتجعيد في شعر العجز، والبقع السوداء على الحواشب إلخ(٥٢). وينبغي يا صديقي أن تعلم فضلاً على ما

---

(٤٩) البيت لهوراس وهو في الأصل باللاتينية ونصه كما يأتي:
Quod pulchrae clunes, breve quod caput, ardua cervix
والمثبت هو الترجمة العربية التي زودني بها مشكورًا الزميل الدكتور مصطفى بوشارب.[المترجم].

(٥٠) فرجيل: شاعر لاتيني (٧٠-١٩ق.م)، انظر: المعجم الأدبي، م. س، ص٥٦٩.[المترجم].

(٥١) Epire: منطقة في شمال غرب اليونان على الحدود مع ألبانيا. ويبدو أنها اشتهرت بالخيول النشيطة.[المترجم].

(٥٢) قال بوركهارت فيما ترجمه عنه الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين في كتاب: من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عاماً، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١١هـ، ص٢٩-٣٠: وهناك ما يزيد =

ذكرت لك أن العرب معتادون على العناية عناية كبيرة بأنساب مختلف سلالات خيولهم، وأنهم يدبجون في ذلك حججًا ليتثبتوا من الأصالة والعراقة. وأورد إليك فيما يلي نموذجًا من تلك الحجج(٥٣) حصلت عليه لتوي، لعله، كما أظن، يرضي رغبة حب الاستطلاع لديكم.

= على عشرين علامة شؤم من هذا النوع لها أثر سيِّئ في تخفيض قيمة الحصان أو الفرس بنسبة الثلثين أو أكثر. وقارن بما في ترجمة غاندي المهتار بعنوان: ملاحظات عن البدو والوهابيين لبوركهارت، م.س، ص٧٤-٧٨.[المترجم].

(٥٣) سميت في كتاب: نجديون وراء الحدود "العقيلات" ودورهم في علاقة نجد العسكرية والاقتصادية بالعراق والشام ومصر (١٧٥٠-١٩٥٠م)، عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، م.س، ص٢٥٢: حجة حصان. قارن بين النص هنا والنص هناك. وقال بوركهارت: وقد جرت العادة أن يجتمع عدد من الشهود عند ولادة كل مهر أصيل فتكتب حجة أو شهادة توضح فيها صفاته المميزة، واسما أبيه وأمه. ولا يذكر في هذه الحجة النسبية عادة اسما جدَّيه وما قبلهما... وغالباً ما كتبت شجرة النسب في قطعة صغيرة من الجلد وغُطيت بقماش مشمع، وعلقت برقبة الحصان أو الفرس. ويمكن أن يؤخذ ما يلي مثالاً للشهادة على الخيل عند العرب. قارن بالحجة التي أوردها بوركهارت في كتاب: من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عاماً، ترجمة الدكتور العثيمين، م.س، ص١٨-٢٠. والشهادة التي أوردها كتبت في سنة ١٨٠٨م. قال الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في كتابه عن الخيول: إنه أورد شهادة مؤرخة في صفر ١٢٢٣هـ[١٨٠٨م]. قارن بما في الصفحة٢١ من الكتاب الذي ترجمه الدكتور العثيمين. وفي الصفحة ٧٤ من ترجمة غاندي المهتار، م.س.[المترجم].

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال صاحب الرسالة: إن أمتي لا تجتمع على الضلالة(٥٤).

سبب تحرير هذا الكتاب المرضي الخطاب هو أنه نقول - نحن الفقراء إلى الله تعالى الغني المدونة أسماؤنا بذيل هذه الحجة - إننا نشهد بخطنا وبختمنا وبجزمنا بأن الفرس الحمراء التي بقصعتها نجمة سيالة بيضاء محجلة من اليد والرجل وهي بنت الفرس السقلاوية(٥٥) الكزران النجد وأبوها شويمان الصباح(٥٦) مسلسلة من أبوها (كذا) وأمها عن ثلاثة ظهور وثلاثة بطون وهي من أصل الخيل الذي قال عنهم النبي المكرم ﷺ: إن بطونهم كنز وظهورهم عز(٥٧) ونشهد على ما شهدوا الأقدمين (كذا) بشهادة في خطنا وبختمنا بأن الفرس المذكورة هي أصيلة الفصل والأصل وهي

---

(٥٤) هذا مأخوذ من نص حديث شريف (لا تجتمع أمتي [أو قال "أمة محمد"] على ضلالة...)، أخرجه أهل السنن بألفاظ مختلفة إلا النسائي: انظر سنن الترمذي، الحديث ٢٠٩٣؛ وسنن ابن ماجة، الحديث ٣٩٤٠؛ وسنن أبي داود، الحديث ٣٧١١. وأخرجه أحمد في مسنده (مسند القبائل)، الحديث ٢٥٩٦٦. [المترجم].

(٥٥) الصواب: الصقلاوية بالصاد. [المترجم].

(٥٦) الصواب: شويمان الصباح. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٥٠٧-٥٠٨. [المترجم].

(٥٧) كذا في الأصل بطونهم... وظهورهم. وهو خطأ صوابه: بطونها وظهورها... وتمام الكلام: (عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها عز وبطونها كنز). وهو ينسب إلى النبي ﷺ. انظر المستطرف للأبشيهي (ط. إبراهيم صالح، دار صادر، ١٩٩٩، ٢/٤٧٦. ولم أجده في التسعة. وينسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ، ٣/ ١٤٦. [المترجم].

أصفى من الحليب وممدوحة بالغارات وفي السباق صبورة على الضماء(٥٨) والكد والهد ونحن نشهد بما رأينا والله خير الشاهدين.

شهدوا بما فيه الشهود(٥٩)

ويمتلك العرب الذين يعشقون الخيل كتبًا عديدة في فن تربية الخيول وعلاجها من الأمراض التي تصيبها. وأشهر تلك الكتب هو الكتاب الذي عنوانه: قواعد الفروسية وعلم مداواة الخيل Principes d'équitation et de la science vétérinaire وينسبونه لعلي(٦٠) [بن أبي طالب رضي الله عنه] صهر النبي [ﷺ]. وقد حصلت على نسخة منه بعد بحث طويل. وأنوي ترجمته

---

(٥٨) كذا في الأصل والصواب: الظمأ. [المترجم]

(٥٩) أورد صاحب الرسالة ترجمة للرسالة إلى الفرنسية. ولم يرد اسم الشهود كما هو الحال في الوثيقة المنشورة في كتاب: نجديون وراء الحدود. [المترجم].

(٦٠) ما بين معقوفتين من إضافة المترجم. ولم أجد على طول البحث والتسآل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتابًا في الخيل. وفي أمر هذه النسبة احتمالان: أولهما أن يكون روسو خلط بينه وبين الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي صاحب كتاب: الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل (تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). وثانيهما أني وجدت كتابًا بعنوان: سياسة الخيل والأدوية وطريقة... والأوصاف العلامات والعلاجات والأصيل والخسيس والرديء والطيب ونحو ذلك لقنبر، يقال إنه فتى علي بن أبي طالب، مخطوط في دار الكتب المصرية. فلعل خلطًا وقع في نسبة الكتاب الذي حصل عليه روسو. انظر: مقال المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة الهلال، السنة ٢٨، ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) بعنوان: نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها، ومقدمة كتاب الأقوال الكافية...، م. س، ص٢٣-٢٤. [المترجم].

إلى الفرنسية، وإذا سمحت لي أعمالي الكثيرة ببعض الوقت فإنني أرجو أن أنشره قريبًا.

وبانتظار ذلك لن أجد بالتأكيد، يا صديقي، شيئًا أنهي به هذه الرسالة أفضل من أن أذكر لك هنا أسماء خيل العرب الأكثر اشتهارًا.

١ - كحيل(٦١).

٢ - جلفي(٦٢).

٣ - سعدي(٦٣).

٤ - معناقي(٦٤).

---

(٦١) كذا، والصواب: كحيلان. انظر أصول الخيل العربية الحديثة، تأليف حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٤١-٣٤٥، ٥٣٢-٥٣٣. وكتاب: جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير لأبي بكر بن بهرام الدمشقي، ترجمه وحققه وعلق عليه د. مسعد بن سويلم الشامان، إصدارات مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص٣٤٠.[المترجم].

(٦٢) في كتاب ابن بهرام وحمد الجاسر المذكوران أعلاه ص٣٤٠ و ٢٢٠-٢٢٢ على الترتيب: الجلفة. وترد جلفان.[المترجم].

(٦٣) كذا في الأصل العربي. ويبدو أن الأصل: سعيدي. ووردت في كتابي ابن بهرام: ص٣٤٠؛ وحمد الجاسر ص٢٦٩، ٥٠٢: السعدة. وترد سعدان. والصواب سعدي قال عبيد بن رشيد:

أصبحت منهن خالي كود ثنتين
سعدي ومصقول يداوي الغلايل.[المترجم].

(٦٤) في كتابي ابن بهرام ص٣٤٠؛ وحمد الجاسر ص٤٤١-٤٤٣، ٥٣٩-٥٤٠: المعنقية. وترد معنقي.[المترجم].

٥ - صقلاوي(٦٥).

٦ - دعيجان(٦٦).

٧ - حمداني(٦٧).

٨ - ريشان(٦٨).

٩ - صويتي(٦٩).

١٠ - عبيان(٧٠).

١١ - بهذان(٧١).

١٢ - فريجان(٧٢).

---

(٦٥) في أصل كتاب ابن بهرام ص٣٤٠: كتبت بالسين سقلاوية. وكتبها محقق الكتاب ومترجمه بالصاد: صقلاوية اعتمادًا على ما جاء في كتاب الجاسر ص٢٨٢-٢٨٥.[المترجم].

(٦٦) في كتاب ابن بهرام ص٣٤١؛ وفي كتاب الجاسر ص٢٣٥: الدعجانية.[المترجم].

(٦٧) في كتاب ابن بهرام ص٣٤١؛ وكتاب الجاسر ص٢٢٤-٢٣١: الحمدانية.[المترجم].

(٦٨) ورد في كتاب ابن بهرام: ص٣٤٢: الريشا. وانظر كتاب حمد الجاسر، ص٢٦٨ و ٤٩٧ و ٤٩٨. وكتاب: الخيل العربية الأصيلة، تأليف أ. غ. شيرباتوف، س. أ. ستروغانوف، مترجم عن الروسية، تحرير د.عوض البادي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٤٠.[المترجم].

(٦٩) في كتاب حمد الجاسر، ص٣٠١: الصويتية.[المترجم].

(٧٠) في كتاب ابن بهرام، ص٣٤٢؛ وفي كتاب حمد الجاسر، ص٣٠٣-٣٠٤: العبيان.[المترجم].

(٧١) لم أجد فرسًا بهذا الاسم، ولعله تصحيف.[المترجم].

(٧٢) في الأصل فريدان تصحيف.[المترجم].

١٣ – هدبان(٧٣).

١٤ – طويسان(٧٤).

١٥ – وذنان(٧٥).

١٦ – شويمان الصباح(٧٦).

---

(٧٣) في كتاب حمد الجاسر، ٤١٥: والهدباء من جياد الخيل عندهم، ويقسم إلى بيوت، ولا يزال إلى اليوم معروفًا، والذكر أهدبٍ والأنثى هدباء. وذكر صاحب عقد الأجيادِ أن من خيل الشام صنفًا يسمى (هِدابة) وينقسم خمسة أقسام: جلفة ومعْنقية ودَعجانية وجُعْثية وفُريحة. انتهى. وجاء في كتاب دراسة "حَماية الخيول العربية" عن الهدب، ص٢٤: هدبان أنزحي، هدبان الفرت، هدبان مشيلح. ... قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في هامش صفحة ٤٥١: والأسماء غير صحيحة. انزحي: النزحي (انظر بوركهارت، ص٥٠)، والفرت: الفرد، وكوبيشان: كُبَيِّشان. والباقي لم يتضح لي صوابه، والكلام منقول عن مصدر أعجمي. وذكر الرحالة الإيطالي كارل غوارماني في كتابه عن الخيل المسمى: الخمسة (نشر عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، وأهداه إلى ملك إيطاليا فكتور عمانويل الثاني): كحيلان وعُبيان والصقلاوي والحمداني وهدبان. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٥٠ الهامش.[المترجم].

(٧٤) وردت في كتاب ابن بهرام، ص٣٤١؛ وكتاب حمد الجاسر، ص٣٠٢، ٣٢٤، ٤٠٣: الطويسة.[المترجم].

(٧٥) جاء في كتاب ابن بهرام، ص٣٤١: دون. ولم يعرفه المحقق، ولعل ما ذكره تصحيف ما في متن الرسالة التي ننشرها. انظر كتاب حمد الجاسر ص٤٤٥ حيث سماها الوذناء ونقل عن الأصول أنها سميت بذلك لأن الكُحيلة أتت بمهرة أُذُنها منثنية (منصفطة) ولهذا سميت الوذناء. ونقل عن ولفرد سكاون في تقريره الملحق بكتاب بدو الفرات أنه قال: وذنان: وذنان خرسان.[المترجم].

(٧٦) رُسِم في الأصل: Choueiman El-sebbah. انظر رحلة إلى بلاد نجد، تأليف آن بلنت، م. س، ص٢٧٨: سويمان صباح: ذو قوة كبيرة، رأس كبير ممتاز... من نتاج نجد. وصوابه بالشين كما أثبتناه. انظر كتاب حمد الجاسر، ص٢٧٥ وما بعدها.[المترجم].

١٧ - مشرف(٧٧).

١٨ - أبو عرقوب(٧٨).

---

(٧٧) لعلها نسبة إلى مشرف مهنا ابن عم محمد العريعر من شيوخ بني خالد. وقد ورد الحديث عنه وعن خيله في كتاب حمد الجاسر، ص٤٤٥ وما بعدها في الحديث عن الوذناء الخرّسَانية.[المترجم].

(٧٨) هناك نص عربي لهذه السلالات ونص فرنسي. وليس في النص العربي ما جاء في رقم ١٨ في النص الفرنسي. وأثبته. وقد ورد الاسم في كتاب ابن بهرام ص٣٤٢؛ وكتاب حمد الجاسر ص٢١٥، ٣٦٦، أم عرقوب. وفي ص٤٧٠: أبو عرقوب: حصان كحيلان من خيل غانم بن مضيان من حرب.[المترجم].

المجامر القديمة في تيماء

دراسة آثارية مقارنة

إعداد

محمد بن معاضة بن معيوف

٢٦٥ صفحة

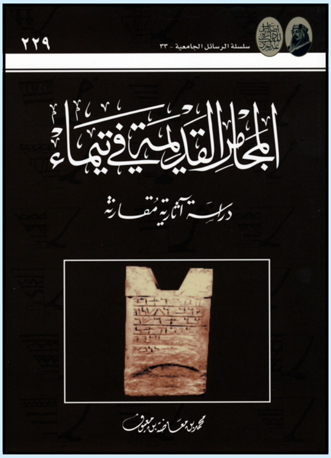

سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٣

٢٢٩

المجامر القديمة في تيماء

دراسة آثارية مقارنة

محمد بن معاضة بن معيوف

يدرس هذا الكتاب المجامر الفخارية والحجرية القديمة المكتشفة في تيماء خلال مواسم التنقيب التي قام بها قطاع الآثار بالهيئة العامة للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية، ويقدم عرضًا موجزًا عن الاكتشافات الأثرية في هذه المدينة المتميزة بغناها التاريخي حيث كانت ملتقى الطرق التجارية في المنطقة منذ قديم الزمان، ويحصر المجامر الموجودة في متاحف الرياض، ويصنفها من حيث الشكل والعجينة والزخرفة، ويبين الخاصية التي تتميز بها، ويقارن بينها وبين غيرها من المجامر الأخرى في البلدان المجاورة لمعرفة مدى التشابه والاختلاف بينها، كما يصف المجامر الفخارية من حيث عجينتها ولونها وصلابتها وشواؤها وطريقة صناعتها والزخارف التي عليها والألوان المستخدمة في زخرفتها، ويشير إلى أحجام المجامر الحجرية ويقرأ الكتابات الواردة عليها.

ويتضمن الكتاب أيضًا ثبتًا لصور المجامر المدروسة فيه، وخرائط طبوغرافية لتيماء، وخرائط كنتورية لبعض المواقع.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa